

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN



كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية

ليسانس السداسي السادس

تخصص: دراسات نقدية

إعداد : أ.د محمد ملياني

العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة 08: التفسير الهجيلي لنشأة الرواية

التفسير الهجيلي لنشأة الرواية

لم تعد الرواية في الفكر الفلسفي الحديث مجرد جنس أدبي يُعنى بسرد الحكايات أو تصوير الواقع، بل أصبحت تعبيراً عميقاً عن تحولات الوعي الإنساني ذاته. في هذا السياق، يقدّم جورج فيلهلم فريدريش هيجل، في كتابه "علم الجمال"، واحدة من أكثر الرؤى تأثيراً في فهم نشأة الرواية، حيث ينظر إليها لا بوصفها امتداداً بسيطاً لأشكال سردية سابقة، بل كنتاج مباشر لتحول تاريخي وروحي في بنية العالم الحديث.

يصف هيجل الرواية بأنها "الملحمة البرجوازية الحديثة"، وهو توصيف يحمل دلالة فلسفية عميقة. فالمحمة القديمة، كما تجلت في أعمال مثل الإلياذة والأوديسة، كانت تعكس عالماً منسجماً، حيث يتوحد الفرد مع مجتمعه، وتتداخل أفعاله مع إرادة الآلهة ضمن نظام كوني متكامل. أما الرواية، فهي وليدة عالم فقد هذا الانسجام؛ عالم انفصل فيه الفرد عن

الكل، وأصبح يواجه واقعًا معقدًا تحكمه القوانين والمؤسسات والضرورات المادية. من هنا، لم تعد البطولة تعني تمثيل القيم الجمعية، بل أصبحت تجربة فردية تتسم بالصراع والبحث والقلق.

في هذا الإطار، يطرح هيجل مفهوم "نثر العالم"، في مقابل "شعرية القلب". فالعالم الحديث، في نظره، لم يعد شعريًا بطبيعته، بل صار نثريًا، خاضعًا لمنطق العقل الأداتي والتنظيم الاجتماعي. غير أن الإنسان، رغم ذلك، يظل حاملًا لأحلامه وتطلعاته الذاتية، وهو ما يخلق توترًا دائمًا بين الداخل والخارج، بين الذات والواقع. هذا التوتر هو جوهر الرواية الحديثة، ومحركها الأساسي.

ويتجلى هذا الصراع في شخصية "البطل الإشكالي"، الذي لا ينتمي إلى عالم مكتمل، بل يعيش في حالة اغتراب مستمرة. إنه فرد يبحث عن معنى في واقع لا يمنحه إجابات جاهزة، وغالبًا ما تنتهي رحلته إما بالتكيف مع شروط العالم أو بالانكسار أمامها. هذه الصورة ستجد صداها لاحقًا عند جورج لوكاش، الذي طوّر التصور الهيجلي في كتابه "نظرية الرواية"، حيث اعتبر أن الرواية هي "ملحمة زمن فقدت فيه الميتافيزيقا موطنها"، أي أنها تعبير عن عالم فقد يقينه الكلي، وأصبح الإنسان فيه كائنًا يبحث عن قيم مطلقة داخل واقع نسبي.

غير أن هذا التصور، رغم عمقه، لم يظل دون مراجعة. فقد جاء ميخائيل باختين ليقدم قراءة مغايرة، ركّز فيها على البعد اللغوي والتعددي للرواية. فبدل أن تكون مجرد تعبير عن اغتراب فردي، تصبح الرواية عنده فضاءً لتعدد الأصوات والرؤى، حيث تتجاوز لغات وخطابات مختلفة دون أن تذوب في صوت واحد مهيمن. بهذا المعنى، لا تعكس الرواية أزمة فقط، بل تفتح أيضًا إمكانيات للحوار وإعادة تشكيل المعنى.

أما لوسيان غولدمان، فقد أعاد ربط الرواية ببنيتها الاجتماعية والاقتصادية، معتبرًا أن شكلها يعكس بنية المجتمع البرجوازي نفسه، حيث يتحول البحث عن القيم إلى تجربة فردية داخل نظام قائم على التبادل والمنفعة. وهكذا، تصبح الرواية مرآة لبنية اجتماعية كاملة، لا مجرد انعكاس لحالة نفسية أو فلسفية.

مع ذلك، يمكن توجيه بعض النقد إلى الرؤية الهيجلية، خاصة من حيث نزعتها إلى التعميم والتاريخ الخطي، فضلاً عن تركيزها على التجربة الأوروبية بوصفها نموذجاً كونياً. فالرواية، في سياقات ثقافية مختلفة، قد تتخذ مسارات أخرى لا تنطبق تماماً على هذا النموذج. ومع ذلك، يبقى إسهام هيجل تأسيسياً، لأنه وضع الرواية في قلب التفكير الفلسفي حول الحادثة، وربطها بسؤال الإنسان عن ذاته ومكانه في العالم. إن الرواية، في ضوء هذا التراث الفكري، ليست مجرد حكاية تُروى، بل هي شكل من أشكال الوعي التاريخي، ومرآة لتحوّلات الإنسان في عالم فقد وحدته، لكنه لم يفقد سعيه الدائم نحو المعنى.